



كلمة

السيد / أحمد أبو الغيط

الأمين العام لجامعة الدول العربية

في

مؤتمر مؤسسة الفكر العربي

أبو ظبي: 2016/12/12



بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الملكي الامير خالد الفيصل

امير منطقة مكة المكرمة - رئيس مؤسسة الفكر العربي

معالي الدكتور انور قرقاش

وزير الدولة للشؤون الخارجية بدولة الامارات العربية المتحدة

معالي الدكتور عبد اللطيف بن راشد الزياني

الامين العام لمجلس التعاون الخليجي

اصحاب السمو والشيوخ،

اصحاب المعالي الوزراء،

الحضور الكرام،

سعادتي كبيرة بالوجود اليوم بين نخبة مختارة من خيرة المثقفين العرب الذين أحبيهم فرداً فرداً، وأقدم الشكر لمؤسسة الفكر العربي على ما توفره من مجال نادر للاشتباك المعرفي بين مثقفي الأمة من أقصاها إلى أقصاها، كما أوجه التحية لدولة الإمارات على احتضانها للمؤتمر. والحقيقة أن الحدث الذي نشهده اليوم يجمع بين الاحتفال والاحتراف من جانب، وتبادل المعرفة وتلاقح الأفكار من جانب آخر. احتفالاً بدولة الإمارات وعيدها، واحترافاً بتجربة مجلس التعاون الخليجي الرائدة الذي احتضنت هذه المدينة أولى قممه منذ ما يربو على 35 عاماً. والحق أن الفضل يعود



لمؤسسة الفكر العربي في إدخال هذا التقليد الرائع: فالاحتفال لا يكون بالأهازيج والأناشيد فحسب، وإنما بالفكر وتدارس التجارب وتعميم الخبرات. وإحياء ذكرى مرور 45 عاماً على إنشاء دولة الإمارات، و45 عاماً على انضمامها للجامعة العربية، هو واحدة من هذه المناسبات التي يصح أن نتوقف أمامها بما يليق بها من التأمل واستلهام العبر والدروس. فهذه الدولة هي نموذج فريد على ما يمكن أن تفعله الحكمة السياسية وفن الحكم وإدارة الدول من تغيير الواقع للأفضل، وإعادة هندسته بصورة قابلة للبقاء والازدهار والاستدامة إن شاء الله.

ونحن أحوج اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى إمعان النظر في ذلك النموذج الذي تقدمه دولة الإمارات.. إنه نموذج نادر في تأسيس الشرعية ووحدة الدولة على قاعدة راسخة من الإنجاز الذي تعم ثماره على المواطنين جميعاً... هو نموذج لافت في تحقيق الوحدة لأن عنوان مرحلتنا للأسف هو التفكك والتفتت.. ولا يخفى على أحد ما تواجهه الدولة العربية المعاصرة من أزمت طاحنة لا مثيل لها في التاريخ الحديث... إنها أزمت تضرب كيانها ذاته... ثمزق نسيجها الجامع... تهدم وحدتها الوطنية.

ربما يُجادل البعض بأن الأزمة تعود إلى ظروف نشأة بعض الدول العربية بحدودها المعاصرة التي رُسمت منذ مائة عام وكانت تحمل ما تحمله من ألغام وقنابل موقوتة جاء أوان انفجارها بعد



عقود ظلت فيها مكتومة ومكبوتة.. قد يرى البعض الآخر أن الأزمة لصيقةً بتكوين الدولة ذاتها، وبطبيعة العقد الاجتماعي الناظم لعلاقات الحكم والمجتمع فيها...إنها موضوعات تحتاج لإعمال الفكر وإطالة الدرس من جانب المثقفين والأكاديميين ورجال البحث الذين أرى أمامي بعضاً من ألمع رموزهم في العالم العربي... فالأزمة عميقة في جذورها، شاملة في تأثيرها وأبعادها.. خطيرة من حيث نتائجها وتبعاتها... وكلنا يتابع حلقاتها المحزنة والمقبضة يومياً على الشاشات وفي أخبار الصحف.

ثمة دول تتفكك ويتمزق نسيجها، وأخرى يناضل أبنائها من أجل الحفاظ على كيانها. هناك لاجئون بالملايين ونازحون ومشردون يقطنون المخيمات ويعيشون على الكفاف.. وثمة مهاجرون ضاقت أوطانهم عليهم بما رحبت، فألقوا بأنفسهم في البحر، وفيهم النساء والأطفال، غير مبالين بالموت أو التشريد في بلاد غريبة، وكأنهم يهربون من الجحيم الذي يعيشونه ويعرفونه، إلى جحيم آخر غير معلوم.

في وسط هذا الاضطراب الكبير قد يرى البعض أنه لا وقت للفكر ولا مجال للبحث، وأن "السيف أصدق أنباء من الكتب" فالتحديات الجسام تفرض علينا - كأمة عربية- أن نحشد الهمم للدفاع عن وجودنا ذاته في مواجهة التهديدات القادمة من داخل دولنا ومن محيطنا القريب... والحق أن أزممتنا الكبيرة - كما أراها-



هي أزمة في الفكر أولاً، وفي العمل ثانياً. فالفكر سابقٌ على العمل. وإذا صح الفهم صلح العمل. وحسناً فعلت مؤسسة الفكر العربي أن جلبت الفكر والبحث إلى ساحة العمل العربي... وجاءت بالمفكرين إلى رحاب جامعة الدول العربية في لقاءات ومؤتمرات متتالية كان هدفها العريض هو توصيف المآزق العربي الراهن ومناقشة سبل الخروج منه... والحق أنه لا خروج من أزمنا الحالية سوى بإشراك صفوة العقول في بلادنا في طرح الأسئلة الصحيحة، واقتراح الإجابات والحلول..

السادة الحضور،

البعض ينظر للتكامل العربي باعتباره ترفاً بعد أن صار عددٌ من الدول مهدداً في بقائه. والصحيح في فهمي أن يكون التكامل ذاته هو الطريق للحفاظ على الجسد العربي سليماً في مجموعته، صحيحاً في بنيته وقوامه... ولكن أي تكامل؟ وما الغاية التي ينشدها هذا التكامل؟

الآباء المؤسسون لجامعة الدول العربية كانوا بعيدي النظر، ثاقبي الفكر عندما اختاروا مفهوم السيادة منطلقاً لمشروعهم الوحدوي. الجامعة كما تعلمون جميعاً هي منظمة لدول ذات سيادة. منظمة بين حكومات وليست سلطةً عليا فوقها... تقوم آلية عملها على أساس التوافق السياسي والرضاء العام، ومحظور عليها - بنص الميثاق - التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء...



أقول إن هؤلاء المؤسسين كانوا بعيدى النظر لأن مسار التاريخ أثبت صدق رؤيتهم. نشهد اليوم بعض الكيانات فوق الحكومية التي تواجه تحديات كبيرة من تصاعد الشعور القومي. هذا يحدث في أوروبا، برغم الشوط الكبير الذي قطعه الأوروبيون على طريق الوحدة. إن الدولة ما زالت هي الوحدة الأساسية في عالمنا المعاصر. والمفهوم الواقعي للتكامل هو ذلك الذي أخذت به مُبكراً الجامعة العربية من اعتماد مبدأ التنسيق بين دول مُستقلة. صحيح أن هذا التنسيق لم يرق إلى مستوى الطموح والمأمول، وصحيح أن الطريق ما زالت أمامنا طويلة، إلا أنه يظل -في ظني- الطريق الصحيح والمنهج السليم في تحقيق التكامل العربي... من المستحيل استنهاض الجسد العربي من دون دعم وحداته من الدول الوطنية، وتعزيز سيادة هذه الدول واستقرارها ونموها وضمان تكاملها الإقليمي.

إن مؤسسات العمل العربي المشترك ليست كسيحة أو مُعطلة كما يظن البعض. ما ينقصنا ليس الكيانات المؤسسية، التي ربما نعاني من تخمتها وليس ندرتها. ما نفتقر إليه، في تقديري، هو الفلسفة الناظمة للعمل، والترتيب السليم للأولويات.

لذلك سأختتم حديثي بطرح أولويات ثلاث أراها تقع في القلب من فلسفة التكامل العربي والعمل العربي المشترك:

أولاً: تجديد معنى العروبة..



وظني أن هذا يُمثل هما رئيسياً لمؤسسة الفكر العربي وعنواناً
لعملها... العروبة لا ينبغي أن تظل مفهوماً جامداً أو فكرة متحجرة
منغلقة... جربنا ذلك دهرًا، فكان ما كان من انفجار الدول وتفتتها.
العروبة التي ننشدها جميعاً هي مفهوم رحب.. متسامح مع الآخر
المختلف في الدين أو العرق.. قابلٌ بالشراكة معه في إطار الدولة
الوطنية الجامعة.. "دولة كل مواطنيها" التي تقوم على حكم القانون
وحده. اقتناعي الراسخ أن هذه العروبة المنفتحة تظل طوق النجاة
لهذه المنطقة من جحيم الفتن والصراعات الطائفية والمذهبية..
فالجامع الأول بين الدول الأعضاء في الجامعة العربية ليس
جغرافياً، وإنما لغوي وثقافي... وقد تعرضت المنطقة لحكم عثماني
لخمسة قرون كاملة ولم يحدث أن نطق بلدٌ عربي واحد بالتركية...
هذا الفضاء الجغرافي الممتد من المحيط إلى الخليج هو مجال
عربي.. أول أهداف التكامل العربي هو الحفاظ على عروبة الدول
العربية.. ولا يخفى أن بعض دولنا يواجه تهديداً بسلخه من عرويته
وعزلها عن محيطه... وبعض النظم الحاكمة يُساعد للأسف على
ذلك الانسلاخ بتحالفه مع قوى غير عربية، وارتهان إرادته لهذه
القوى التي تُمعن في تدخلها السافر في شئوننا....

.....



ثانياً: مواجهة أزمات الوجود..

أعني بهذه الأزمات الانفجار السكاني والتدهور البيئي والشح المائي. تلك هي الأزمات الحقيقية التي تهدد وجودنا ذاته، وهي أزمات لا قبل لدولنا بمواجهتها فرادى ولا بد من التنسيق الجماعي للتعامل معها... في عام 1980 كان عدد سكان العالم العربي 150 مليون نسمة، في عام 2005 تجاوز السكان الـ 400 مليون.. 60% من هؤلاء أعمارهم تقل عن 25 عاماً... ونسبة البطالة في الدول العربية تتجاوز الـ 15%، بينما المتوسط العالمي 6.5%... وحتى نرى الصورة في شمولها فعلينا أن نعرف أن المنطقة العربية تظل من أكثر المناطق استيراداً للغذاء على مستوى العالم، علماً بأنها تعاني ندرة في المياه، وتصاعداً مُقلقاً في ظاهرة زحف الصحاري التي التهمت ما يقرب من ثلثي الأراضي العربية.

هذه هي نوعية التحديات الخطيرة التي يتعين على جهود التكامل العربي أن تنصرف إليها وتلتفت لها وتنصب عليها. وهي تحديات وجود وبقاء بكل ما تحمله الكلمة من المعنى وتستلزم جهداً جاداً على صعيد التكامل الاقتصادي والعلمي والتقني، ولدى الجامعة العربية من الخبرات والمؤسسات والكيانات ما يصلح كأساس لتنسيق حقيقي على كافة هذه الأصعدة على أساس علمي ومؤسسي راسخ.

.....



أما الأولوية الثالثة للتكامل العربي فهي تحقيق الصحة

الفكرية... وقد ذكرتها ثالثاً ليس لأنها الأقل أهمية بل لكي ألفت النظر إلى أن أياً من الأولويات السابقة لن يتحقق من دونها. إن النهضة عملٌ فكري في الأساس. وقد رأينا جميعاً كيف خربت بعض من أزهى حواضرنا على يد نفرٍ من أبنائها خربت عقولهم وتلوث فكرهم. خراب العمران هو محصلة لخراب الإنسان. وبناء الإنسان لا يكون سوى بتربية الفكر الناقد، والعقل القادر على استيعاب العالم من حوله. مطلوب من المثقفين العرب صياغة بديل فكري متماسك لأيديولوجيات القتل والدمار وسبي النساء... مطلوب تعديل مسار الثقافة العربية لتقوم على الإبداع لا الاتباع، على العقل لا النقل.. تستلهم قيم العصر الذهبي الفاتت عندما انفتحت على الدنيا بناسها وثقافتها وأفكارها.. واستوعبت ذلك كله، ولم تلفظه أو ترفضه أو تخشى التفاعل معه... من المهم أن ينهمك المثقفون العرب في عمل متضافر... جماعي ومؤسسي من أجل خلق هذه الثقافة الجديدة القائمة على الابتكار... إن إيجاد هذه الثقافة أهم من أي جهد يُبذل في المجالات الأخرى... وهذا العمل الثقافي الضخم لا يُمكن أن يتحقق إلا في إطار تكاملي... وليس صدفة أن يكون واحداً من أوائل إنجازات جامعة الدول العربية صدور "معاهدة الوحدة الثقافية العربية" في 27 نوفمبر 1945 بهدف "التعريف



بالثقافة العربية وتنشيط حركتها، وتعزيز اللغة العربية وجميع
روافدها الحضارية والتراثية الأصيلة" ..

الحضور الكريم..

إنني أهني الإمارات مُجدداً بعيداً بعيداً، وأتمنى لها ولشعبها كل
ازدهار وتقدم... وأعتزم هذه الفرصة لأشيد بتجربة مجلس التعاون
الخليجي كتجربة عربية ناجحة نحو التكامل.. نرى فيها جميعاً اثراء
للعمل العربي المُشترك، وتعزيزاً لروافده التي تصب جميعها في
صالح الجامعة العربية ودورها.

أتمنى لمؤتمركم كل النجاح ولعملكم التوفيق والسداد.

شكراً لكم،